http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1897) السنة الثامنة - الخميس (2) أيلول 2010

العراق بحاجة لديمقراطية بقيادة قوية

الرهينة الفرنسي كريستيان شينو لـ(المدى): تغيير النظام عملية جراحية ضرورية لكن الطبيب فشل بتشخيص العلاج

تحت نظراته تختبئ العديد من القنوات الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة، وراء ابتسامته ألف عين حرفنتها سني العمل الميداني، يسمع ضعف ما يقول، الحذر والدقة يؤطران لوحة الأجوبة، إنه الدبلوماسي والإعلامي كريستيان شينو الذي أختطف في العراق عام ٢٠٠٤، حاورته المدى ضيفاً لصفحة خميسها في باريس ليبين لها أن العراق الآن وفي ظل انسحاب القوات الأميركية بحاجة إلى ديمقراطية وقيادة قوية، وبشأن تقييمه للعمل الإعلامي وتداعياته سواء في العراق أو بقية بلدان العالم، قال كريستيان ان الإعلام بصورة عامة، وفي مختلف البلدان يعاني من عدة أزمات، منها غياب التوافقية بينه وبين السياسيين وهذا ما قيد من حركته الميدانية والأمر الآخر هو ضآلة المردود المالي الذي يجنيه الصحفي من خلال عمله.

وفيما يلي نص الحوار:

حاوره : يوسف المحمداوي

الرهينة الفرنسي كريستيان شينو

من رهينة إلى خبير في شؤون الشرق الأوسط

■ من هو كريستيان شينو؟

– أنا كريستيان شينو ولدت عام ١٩٦٦، متزوج من لبنانية ولي طفلة جميلة اسمها ناتاشا، خريج علوم سياسية، وكذلك لي شهادة من معهد العلوم السياسية، وعملت لفترة امتدت لأكثر من عام ونصف في السفارة الفرنسية بمصر كدبلوماسي وإعلامي، والآن فضلاً عن عملي بوزارة الخارجية الفرنسية، أعمل ضمن مجموعة مؤلفة من(٢٥٠٠) إعلامي في إذاعة فرنسا الوطنية وهي مجموعة من الإذاعات، وعملي فيها كخبير في شؤون الشرق الأوسط، وكذلك في الإذاعة الوطنية، رافقت الرئيس ساركوزي في أغلب جولاته وزياراته الرسمية خارج البلد، وكنت مع وفد وزارة الصناعة الفرنسية الذي زار بغداد شباط الماضي، لافتتاح مبنى في شارع ابي نواس ليكون مقراً لرجال الأعمال الفرنسيين، وكان الغرض منه تشجيع وتحفيز الشركات الفرنسية للاستثمار في العراق، اختطفت في العشرين من آب ٢٠٠٤ بمنطقة اللطيفية الموت كما تسمونه وهي منطقة مثلث أنا وزميلي جورج مالبرونو، وبعد ١٢٤ يوماً من الاختطاف تم اطلاق سراحنا في ٢١ كانون الاول ديسمبر ٢٠٠٥، وها أنا حي أمامكم.

وضع الإعلامي الفرنسي سيئ جدا

■ بالنسبة لوضع الصحفي الحالي كيف تجدونه في فرنسا، وهل توجد ضغوطات من قبل جهات حكومية أو سياسية تقيد من عمل الإعلاميين؟

– لا أحد ينكر أن الوضع الحالي للصحفي الفرنسي سيئ جدا وصعب، وبعد أن أمضينا ثلاثة أعوام من حكم الرئيس ساركوزي وتبقى لفترة حكمه عامان، لندخل بعدها انتخابات جديدة، لمسنا خلال تلك الفترة الكثير من الضغوطات والتدخلات في عمل الإعلاميين، ومع إيماننا أن النظام في فرنسا هو نظام ديمقراطي، لكن هذا لا يعني عدم وجود شوائب في هذا المرفق أو ذاك، فنلاحظ هناك علاقات متوترة وغير جيدة بين السياسيين والإعلاميين، وأقولها بصراحة أن وضع الإعلامي في فرنسا الآن أسوأ من السابق سواء من ناحية العلاقة مع السياسي، أو حتى من الناحية المادية فالأجور التي تدفع له غير مقنعة ازاء الجهود التي يبذلها. فالوضع الاقتصادي بالنسبة لأصحاب السلطة الرابعة سيئ جداً، وهناك معركة سياسية وخاصة في معسكر اليمين، وهناك تنافس وهذا ما ينعكس على الإعلام بالسلب، فالضغوطات كما قلت موجودة، أحياناً تأتي بصورة معلنة وأخرى بصورة مخفية، وما حصل من طرد لإثنين من الإعلاميين على ضوء مقالين ينتهكمان فيهما على الأوضاع بسخرية. استهدفا من خلالهما الحكومة والمعارضة، نحن لا ننكر أن اللغة كانت شديدة وجارحة، لكن المفترض أن لا تصل الأمور إلى حد الطرد. وهذا مؤشر خطير دلالته أن واقع الصحفيين في كل مكان واقع مزر ويعيشون أوضاعا صعبة للغاية.

العراق يعيش ظروفا غير مألوفة

■ لكن في العراق قد يكون مصير الصحفي الناقد القتل وليس الطرد فوضعنا أصعب منكم؟

– نعتقد أن الإعلام ليس في العراق أو في فرنسا، إنما في جميع بلدان العالم يعيش أوضاعاً صعبة تختلف من بلد إلى آخر وحسب الظروف التي تعيشها تلك البلدان، أنا كنت في العراق وقضيت به فترة زمنية، نعم الوضع هناك أصعب لكونه يعيش حالة غير مألوفة، فضلاً عن كونه بمرحلة انتقالية من نظام استبدادي إلى نظام تجربة ديمقراطية ما تزال في طور التكوين، ولكن لو تلاحظ أنه حتى في أميركا، وعموم أوروبا، على الرغم من قدم التجارب الديمقراطية فيها، ما تزال أوضاع الصحفيين فيها صعبة جداً، ولا ضمان لأبسط الحقوق التي من المفترض أن يحصلوا عليها.

■ عندما كنت رهينة في العراق، هل كنت تعمل لحساب جهة معينة أم لحسابك الخاص كصحفي حر؟

– في وقتها كنت أعمل لحساب عدة إذاعات، وكذلك أعمل كمراسل صحفي لمجموعة من الصحف الفرنسية والكندية، وكذلك بالنسبة للعديد من المجلات الأجنبية، وعملي هذا ينطبق أيضاً على فترة ما قبل تغيير نظامكم السابق، حيث كنت حينها مقيماً في عمان وأقوم بعدة زيارات إلى بغداد وبين فترة وأخرى قبل حدوث عملية التغيير، وكانت أول زياراتي هي في الانتخابات التي حدثت عام ١٩٩٩.

> **في الانتخابات الأخيرة، كان الشعور لدى القوائم المتنافسة أن المواطن بدأ ينبذ الطائفية والتعنصر، لذلك تجد تشكيلاتها قبل الانتخابات جاءت منسجمة مع ما يريده المواطن وليس مع ما تريده هي.**

الخوف الظاهرة السائدة في انتخابات صدام

■ كنت متفرجاً من الخارج، وعشت المرحلتين مرحلة ما قبل التغيير وما بعده، وتقول شاهدت بغداد في انتخابات صدام، والانتخابات الحالية، كاعلامي محايد كيف تقيم الوضعين؟

– الوضع السابق يختلف كثيراً حيث الخوف هو الظاهرة السائدة في انتخابات صدام. وبرهان ذلك أنه حتى الصحفيين الأجانب كانوا يخافون التكلم مع الناخبين، لأن المخابرات العراقية منتشرة في كل مكان، وأذانهم وعيونهم مفتوحة على كل شيء، ففي فندق فلسطين الذي كنت مقيماً فيه كان هناك الكثير منهم يقومون بمراقبتنا ومتابعة تحركاتنا في كل خطوة، والخوف والقلق يملآن عيون الناس، وحتى طريقة انتخابهم وإن كانت منتظمة، لكن تشعر أن هناك نوعا من الإجبار والإكراه في عملية التصويت، وكذلك بالنسبة للإعلام فالصحف كانت لديكم معدودة وهي أربعة كما أظن، الثورة، الجمهورية، بابل، القادسية وهي لسان حال السلطة، وبالنسبة لعملنا كصحفيين أجانب تشوبه الكثير من التعقيدات، فمثلا ممنوع استخدام الستلايت، وحتى في التسجيل أو التصوير لابد أن تحصل على تصاريح معقدة، ومن جهات مختلفة، حتى تستطيع أن تعمل، فهناك حزمة من الممنوعات تعوق عملنا وتبعد عنا المعلومة التي نريدها. فمثلاً كنت أنوي الذهاب إلى البصرة لكنهم منعوني من السفر. كان كل شيء صعبا– صعبا جدا، أما الآن الأمور اختلفت في بغداد، ومن الممكن للصحافي أن يصل للأمكنة التي يريدها ويحصل على المعلومة التي يبحث عنها، مع الاعتراف أن ما حدث من احتقان طائفي وما رافقته من عمليات ارهابية أعاق عمل السلطة الرابعة، وذهب ضحيته العديد من الإعلاميين للأسف.

الطبيب فشل في تشخيص العلاج

■ خاصة وأن فرنسا لم تشترك في عملية التغيير، برأيكم هل كانت ثمة من طريقة أخرى لتغيير النظام السابق غير التي جرت؟

– كما قلتم. أن المشكلة هي في التصور الموجود عند المحيطين الإقليمي والعربي عن المواطن العراقي بأنه باع الوطن، وتخاذل في الدفاع عنه وهذا خطأ كبير، لأن المواطن مهمش الدور أمام سلطة استبدادية وشخصية دكتاتورية حكمت العراق منذ العام ١٩٨٠، ومع ذلك أقول أن المسؤولية مشتركة، لأن المواطن مصاب بالاحباط التام نتيجة الحروب التي عاشها، والحصار المفروض عليه، والنظام الاستبدادي الذي غيّب الديمقراطية والحرية في ذلك البلد، ولا تنسى أن صدام هو صناعة أميركية، فكانت مسألة إزالته أو إبقائه بيد أميركا، ولا يمكن لأي انقلاب عسكري أن يحصل ما لم يتم بموافقتها، لذا المواطن لا يتحمل مسؤولية ما حصل، لأنه لم يشارك أصلاً في عملية التغيير بعد أن أغلقت جميع أبواب حصوله من الداخل. وبالنسبة لمواقف بعض الدول أزاء التجربة الديمقراطية التي يعيشها العراق، فالأمر وارد لطبيعة وتركيبة الأنظمة السائدة في تلك الدول والتي تخشى سيناريو التغيير عليها، المهم أن ما حدث وكما قال أحد الزملاء، أن عملية تغيير النظام هي عملية جراحية كانت ضرورية، لكن الطبيب الذي أجراها كان فاشلاً في التشخيص والعلاج مما أدى إلى مضاعفات خطيرة في صحة الجسد العراقي.

يجب التخلص من((علي بابا))

■ الآن وبعد مضي سبع سنوات من التغيير، كيف تنظرون إلى دور المواطن وتفاعله في انجاح التجربة الديمقراطية؟

– بالنسبة لي أنا متفائل جداً باستقرار بلدكم، خاصة بعد الخلاص من أحداث عام ٢٠٠٦ وما رافقها من عمليات عنف كادت أن تجر البلاد إلى أتون حرب أهلية، لكن وعي المواطن العراقي وأصالته المتأتية من حضارة عميقة الجذور حالت دون حدوث ذلك، وحتى في الانتخابات الأخيرة، كان الشعور لدى القوائم المتنافسة أن المواطن بدأ ينبذ الطائفية والتعنصر، لذلك تجد تشكيلاتها قبل الانتخابات جاءت منسجمة مع ما يريده المواطن وليس مع ما تريده هي، فالمواطن أدى دوره بصورة رائعة في سبيل انجاح التجربة الديمقراطية في بلده، ويبقى على الساسة المسؤولية الأكبر في انجاحها، وذلك من خلال سعيهم الجاد لبناء عراق مستقر يتمكن من العودة إلى المكانة التي يستحقها، ولا يتم ذلك إلا بالخلاص من ظاهرة الفساد بشقيه الإداري والمالي، وأيضاً بابعاد بعض السياسيين المفسدين من أمثال(علي بابا) من مؤسسات الدولة، وإعطاء السلطة بيد أكفاء من طبقة التكنوقراط، والسعي لإعادة الكفاءات العلمية العراقية التي تعيش الآن خارج البلاد، وتوفير الأجواء المساعدة والمساندة لهم في عملية اعمار وتطوير البلاد.

الحل في التعايش السلمي

■ كمتابع ولك خبرة طويلة في العملين الدبلوماسي والصحفي كيف تنظر إلى المشهد السياسي الحاصل في العراق؟

– هناك ضبابية واضحة في المشهد السياسي، أنا أعرف أن الأوضاع هناك أفضل مما هي عليه في فترة النظام السابق، لوجود حريات أوسع، ومن الممكن جداً وببساطة أن يسافر المواطن العراقي حيثما يريد، وهذا ما ينطبق على الميدان السياسي أيضاً، فهناك قوى واتجاهات سياسية وحزبية متعددة لها رؤاها الخاصة والمستقلة وهذا دليل عافية إذا ما قورن مع فترة نظام الحزب الواحد، نعم هناك بعض المشاكل التي تعوّق مسيرة العملية الديمقراطية، مثل قضية كركوك والمناطق المتنازع عليها، وهذه المسألة تحتاج إلى وقت لغرض حلها، وهناك أمر مهم جداً يجب أن يلتفت إليه الساسة، هو ضرورة سير الجميع سواء أكانوا في حرم السلطة أم خارجها، وحتى المواطن صوب جادة التعايش السلمي واحترام المكونات لبعضها. وعدم تهميش مكون على حساب آخر بذريعة الأغلبية أو الأقلية. نعم لابد من نظرة واحدة للجميع كونهم عراقيين ولكل مواطن حرية العيش في ذلك البلد وفق نظم العدالة والمساواة بالحقوق والواجبات، هذا هو المهم الذي يجب أن يسعى الجميع إلى تأكيده وانجازه.

الدستور كتب على عجالة

■ أنت الآن تعمل كخبير في شؤون الشرق الأوسط، كيف ترى الدستور العراقي؟ وهل جاء منصفاً لجميع مكوناته ومعالجاً لجميع قضايا البلد في مواده الـ(١٤٢)؟

– كما قلتم أن الدستور الحالي والذي صوّت عليه العراقيون كتب على عجالة. لذا ترى بعض مواده تحتاج إلى قوانين لغرض تشريعها والعمل بها، والأمثلة كثيرة على ذلك، وحتى في مسألة من هو الأحق بتشكيل الحكومة العراقية المقبلة ترى الأمور غير واضحة فيه، لذا نرى وبعد شهور من ظهور النتائج مازالت الآراء متباينة بشأن من هي القائمة صاحبة الحق بتشكيلها. هل هي القائمة الأكثر عدداً بالمقاعد النيابية خارج قبة البرلمان، أم القائمة الأكثر عدداً بعد التحالفات داخل قبة البرلمان، وهذا ما يجعلنا نقول أن الدستور العراقي بحاجة إلى وقفة جدية والنظر إلى مواده بما يحفظ حقوق الجميع من غير استثناء، وبعيداً عن النتائج التي جاءت متقاربة من حيث المقاعد بين علاوي والمالكي.

تسيرون بالاتجاه الصحيح

■ تقصد قيادة ديمقراطية وقوية؟

– نعم.. وما يبرر قولي ضرورة وجود قائد ديمقراطي قوي، هو الانسحاب الأميركي من العراق ما يتطلب وجود مثل ذلك الرجل في هذه الفترة الحرجة التي قد تعاود المجاميع المسلحة فيها نشاطاتها ويعود البلد إلى المربع الأول، والأمر الآخر أن الكثير من القضايا المؤزمة للوضع من غياب معظم الخدمات التي يحتاجها المواطن هي بسبب غياب القيادة القوية القادرة على استئصال بؤر الفساد والمفسدين التي تدعم تلك الظاهرة، والمواطن ما يحتاجه الآن ليس بالشيء المستحيل، أشياء بسيطة، الكهرباء، الماء، ضروريات الحياة الأخرى التي هي من حق أي مواطن في العالم، فكيف الحال بالمواطن العراقي الذي يمتلك من الخيرات التي تجعله متفوقاً على الكثير من بلدان العالم في الجانب الاقتصادي، لكن سوء الإدارة هو من أحال الأمور الى ما هي عليه الآن، ومع ذلك أقول أن العراق وفق المعطيات التي نراها الآن سيسير بالاتجاه الصحيح، لاسيما وأنتم قلتم، وكذلك من خلال متابعتنا لمسنا تبلور وعي لدى المواطن العراقي وقناعة تامة لرفضه المنطقي للغة السلاح واندفاعه ذاتياً إلى مشهد التعايش السلمي، وهذه الصورة تعد ذروة ما حققه المواطن من انجاز على أرض الواقع.

> **انتقلنا خلال عملية الخطف من بيت إلى بيت، والغريب في الأمر أنهم وأثناء تنقلنا من منطقة إلى أخرى كانوا يقفون ويتحدثون ويتصرفون وكأنهم في مناطق مؤمنة لهم بالكامل**

تم الاختطاف في منطقة اللطيفية

■ الآن نتحدث عن رحلتك كرهينة لمدة (١٢٤) يوماً، كيف بدأت تفاصيلها حتى لحظة إطلاق سراحك؟

– تم اختطافنا أنا وزميلي الصحفي جورج مالبرونو في الساعة العاشرة من صباح يوم العشرين من آب عام ٢٠٠٤، وكذلك سائقنا السوري الأصل محمد الجندي (أبو أيمن) وتمت عملية الاختطاف في منطقة اللطيفية، وكنا حينها متوجهين لتغطية الأحداث الدائرة بين حكومة إياد علاوي وأتباع السيد مقتدى الصدر، وفي حوالي الساعة ٩,٤٥ تقريباً وصلنا إلى جسر صغير يقف عليه عدد من الأطفال وسألناهم عن الطريق المؤدية إلى هناك فأشاروا علينا بالرجوع إلى الوراء ومن ثم الاتجاه يساراً، وبالفعل عملنا بمشورتهم وما هي إلا دقائق حتى اعترضتنا عجلتان واحدة من الأمام والأخرى من الخلف ونزلوا علينا ثلاثة رجال بملابس بيضاء وتحدثوا معنا لمدة عشرين دقيقة، وبما أني أعرف العربية قلت لهم: نحن صحافيون من فرنسا، وكما تعرفون ان بلادنا لم تشترك في الحرب ووجهتنا هي لتغطية الأخبار في المعارك الدائرة في النجف.

■ ماذا كان ردهم على حديثكم؟

– قاموا بعصب أعيننا ومن ثم توثيق أيدينا ووضعونا في صندوق السيارة وتوجهوا بنا الى كوخ وتركونا فيه.

قطع رأس احد مرافقي الجلبي

■ من خلال تواجدكم كرهائن هل لاحظتم وجود عناصر من جنسيات أخرى أم أن جميعهم عراقيون؟

– ما عرفناه انهم جميعاً يعملون تحت اسم الجيش الإسلامي وهم جهات متنوعة تنتمي الى إيديولوجيات مختلفة، بينهم البعثيون والإسلاميون وضباط من جيش صدام.

■ فترة تواجدكم ألم تتعرضوا لعمليات تعذيب؟

– لا وجود للتعذيب بمعنى التعذيب الذي تقصده، ولكن كانت هناك عمليات ترهيب ووعيد بين فترة وأخرى والقلق كان لصيقنا وصاحبنا دائماً.

■ هل وجدتم أشخاصاً مخطوفين وتعرفتم على هوياتهم أثناء تنقلكم من مكان الى آخر؟

– في أحد الأيام دخل علينا ثلاثة أشخاص بينهم جريح، وهما جنديان مقدونيان يعملان بقاعدة أميركية ومعهما سائقهما وكان جريحاً، حيث تم إلقاء القبض عليهم بعد أن هوجمت قافلتهم وقد حاولنا أن نقوم بدور المترجم لهم مع الخاطفين، وللأسف لم يفهما شيئاً وكانا مذهولين وعرفنا أنه تم قطع رأسيهما فيما بعد، وكذلك بالنسبة للصحفي الإيطالي، وفي أحد أيام الخطف ادخلوا علينا رجلاً جريحاً علمنا انه من الحرس الشخصي لأحمد الجلبي، وقد اختطف في الطريق نفسه الذي تم اختطافنا فيه والمسمى بتلك الفترة بمثلث الموت، لكننا لم نستطيع التحدث معه بعد ان سمعنا الخاطفين يقولون له (كلب.. تعمل لصالح الأميركان) وأخذوه في اليوم التالي وهم يقولون له"ان الجلبي نفى أن تكون قافلته قد هوجمت سنبرهن له العكس"وقاموا بتصويره وكما علمنا قاموا بقطع رأسه أيضاً.

من اللطيفية إلى (أبو غريب)

■ هل كانت لديكم فكرة عن مناطق تنقلكم؟

– في البداية كما قلت لكم وضعنا في كوخ بالمنطقة التي كانت تسمى بمثلث الموت، والتي نتمنى الآن لها أن تسمى مثلث الحياة، ولمدة اسبوعين بقينا هناك وهي عبارة عن منطقة ريفية، بعد ذلك تم نقلنا خارج بغداد.

■ إلى أي جهة؟

– تم نقلنا من قبل الخاطفين إلى منطقة أبو غريب، وفي تلك المنطقة قضينا فترة طويلة من أيام الاختطاف متنقلين من بيت إلى بيت، ولا ننكر في كل عملية تنقل، كان يتولد لدينا خوف وقلق بأن مصيرنا بات قريباً.

■ ما هي أبرز مطالبهم من وراء عملية الخطف؟

– طبعاً المال... ولكن في بداية عملية الاختطاف، قالوا لنا وبحديث ودي، أنتم صحفيون ومن حقكم العمل الميداني، وما هي إلا قضايا بسيطة للتأكد من هوياتكم والجهات التي تعملون معها، ولكن ما تبين بعد ذلك غير ما ذكروه، فالخبر قد هز فرنسا، وقناة الجزيرة بثت شريطاً لنا بعد أن قاموا بتسجيله، يهدد فيه الجيش الإسلامي بقتلنا متحدياً الجمهورية الفرنسية، ولكن لا ننكر أن الضغوطات التي مورست ضد الخاطفين كانت كبيرة جداً، ومن عدة أطراف، حتى أن هناك لجنة الفلوجة اسمها لجنة المجاهدين أيضاً قاموا بتحذيرهم من مسألة قتلنا، وهناك أيضاً ضغوطات عليهم من قبل الجماعات الإسلامية وحزب الله وكذلك حماس، الجميع تدخلوا بصالحنا، ولا ننسى دور الجالية المسلمة في فرنسا بعملية اطلاق سراحنا.

من الدجاج عرفنا أننا في منطقة العامرية

■ وجبات الطعام التي كانت تقدم لكم، هل كانت مطبوخة أم جاهزة ومن مطاعم معينة؟

– في البداية وأثناء تواجدنا في المناطق الريفية، كانت تقدم لنا وجبات طعام مطبوخة، فيها الباميا مثلاً والبصل، والطماطم والرز، لكن بعد انتقالنا من الريف إلى المدينة، الوجبات اختلفت، فكانوا يأتونا بالكباب العراقي المعروف، والقوزي والشاي. وحتى في شهر رمضان الذي صادف أن يكون من شهور اختطافنا، قاموا بتقديم وجبات الطعام لنا وبمعدل ثلاث وجبات في اليوم، وتصور أنه في أحد الأيام عرفنا أننا موجودون في منطقة العامرية وذلك من خلال وجبة طعام جاهزة داخل كيس مكتوب عليه دجاج الـ(.....) شارع الـ(.....) منطقة العامرية. يعني المعاملة جيدة ولكن لا ننكر كان هناك خوف وقلق دائمان، وكانت أياماً عصيبة بالفعل.

■ أثناء معايشتك لهم وأنت رجل محايد هل تولدت لديك قناعة أن هؤلاء بالفعل لديهم قضية يدافعون ويقاتلون من أجلها؟

– في البداية وخاصة ونحن اختطفنا في بداية الاحتلال تقريباً أي في عام ٢٠٠٤، كانوا يقولون لنا نحن مقاومة، وقلنا لهم نحن صحفيون نريد أن ننقل الأوضاع السيئة التي يعيشها الشعب العراقي، وعلاقتنا كفرنسيين مع الأميركيين غير جيدة ونحن مثلكم ندين الاحتلال، وكنا نكرر ذلك كذرائع من أجل الخروج بسلام من ذلك المأزق، بعد أن علمنا أنهم يقطعون رؤوس الضحايا.

العلاقة بين فرنسا والعراق كانت متوترة

■ هل كان يسمح لكم بالاطلاع على وسائل إعلامية معينة أو الاتصال بعوائلكم؟

– أبداً، لقد سحبوا منا كل شيء، هويتانا– جوازاتنا، ولم يسمحوا لنا طيلة تلك الفترة بمتابعة تلفزيون أو إذاعة أو قراءة جريدة أو أية وسيلة اتصال أخرى.

■ حينها كنت تمثل إذاعة أو صحيفة معينة؟

– كنت في وقتها أعمل لحسابي الخاص كصحفي مستقل في عدة صحف فرنسية وسويسرية وهولندية وغيرها.

■ كيف تمت عملية إطلاق السراح وما هي مشاعرك وأنت تتلقى النبأ؟

– قبل يومين من إطلاق سراحنا لاحظنا أن هناك ثمة بوادر طيبة، وتعامل الخاطفين معنا كان جيداً، ومن تلك البوادر قاموا بتسليمنا جواز السفر وممتلكاتنا الأخرى، وقالوا لنا بكل صراحة، لم يتبق إلا الشيء البسيط وسيطلق سراحكم، وأنتم غداً أو بعد غد ستكونون في فرنسا، وقاموا بعد ذلك وباشراف القائد أو ما يسمى بالأمير الذي يقود المجموعة بتسجيل شريط مصور لنا لمدة ساعة، ووجهوا لنا العديد من الأسئلة منها على سبيل المثال عن طريقة تعاملهم معنا أثناء عملية الاختطاف؟ ما هو رأيكم بالقضية الفلسطينية؟ وعن موقفكم كفرنسيين بشأن ما يجري في أفغانستان؟ وأغلب الأسئلة كانت تدور حول الأحداث الجارية في العالم.

■ ألم تتدخل الحكومة الفرنسية وبمساعدة الحكومة العراقية في عملية إطلاق السراح؟

– في ذلك الوقت كان هناك شبه توتر بين الحكومة العراقية والفرنسية، وأميركا أيضاً كانت هناك مصادر موثوقة ومؤكدة تفيد بأنها لم تكن ترغب أن تكون هناك تدخلات ربما من شأنها افساد عملية إطلاق السراح.

تمت عملية اطلاق السراح على الطريق العام

■ اذن من هي الجهة التي كانت تفاوض الخاطفين؟

– المخابرات والسفارة الفرنسية، والحمد لله تم حدوث ذلك بنجاح وخرجنا من الأزمة بعد ١٢٤ يوماً من القلق والخوف والابتعاد عن الديار والعمل.

■ كيف تمت عملية تسليمكم وأين؟

– في صباح ذلك اليوم الذي قالوا لنا فيه سيتم اطلاق سراحنا فيه، قاموا بتقييد ايدينا، وأعصبوا أعيننا ووضعونا في صندوق سيارة مرسيدس، وسرنا من المكان الذي كنا فيه لمدة (٢٠) دقيقة تقريباً، توقفت السيارة وفتح الصندوق، وكانت توقعاتنا أن يضعونا في جامع أو مكان معين، ولكن بعد فتح الصندوق لمحت على بعد خمسة امتار الشارة الفرنسية التي يحملها رجل فرنسي، وتمت عملية التسليم على الطريق العام وقامت المخابرات الفرنسية باستلامنا من الخاطفين، وكان دور المخابرات دوراً رائعاً في عملية اطلاق السراح.

■ هل تعرفت على اسماء الخاطفين والمناصب التي شغلوها في جيش صدام؟

– الاسماء كثيرة، وجهات انتماءاتهم متنوعة، ولكنهم جميعاً يعملون تحت اسم الجيش الاسلامي، وانتقلنا خلال عملية الخطف من بيت إلى بيت، والغريب في الأمر أنهم وأثناء تنقلنا من منطقة إلى أخرى كانوا يقفون ويتحدثون ويتصرفون وكأنهم في مناطق مؤمنة لهم بالكامل، فهم يفتحون نوافذ السيارة ويتحدثون لأشخاص على الطريق من غير وجل أو ريبة.

"التلدغه الحية بيده يخاف من جرة الحبل"

■ ما دام لديك عنوان المطعم في منطقة العامرية هل أنت الآن على استعداد للذهاب إليه وتذوق دجاجة إذا كلفتك الجهة التي تعمل بها بعمل في بغداد؟

– كلا أبداً... صعب جداً.

■ يعني"التلدغه الحية بيده يخاف من جرة الحبل"

ملاحظة: يتدخل المترجم نبيل ومع ضحكة عالية يقول: هذه ترجمتها صعبة يا يوسف مثل ترجمة المصطلح الشعبي(ترس حلكه).

– أنا من الممكن أن اذهب إلى بغداد، والسفارة الفرنسية ستوفر لي الحماية الكافية، لكني لا اعتقد أن حرية الصحافي بوجود تلك الحماية ستكون مفيدة ولن يتمكن من النجاح في عمله، لكن في المستقبل وعندما يتوفر الاستقرار والأمن في بلدكم، ستجدني أول المتجولين في أسواق وشوارع بغداد وأزقتها، أما مع الحرس فحتى المواطن يرفض الحديث معك.

■ عرفنا أننا موجودون في منطقة العامرية من خلال وجبة طعام جاهزة كتب عليها عنوان المطعم

ضيف الخميس ما بين المترجم والمحرر